

« احرفي من قطاع غزة والشاطيء »

تمشي مصبوغة الزدان

من شذا برتقال يافا توافيها

ومن سهل طولكرم المعاني

ماذا بشأن العروبة ، والامة ، وشعبها ،

وحاكميها ؟ لعل هذا الموضوع من أكثر الدوائر

اتساعا في شعر « أبي سلمى » ، ولعل هذه

الشجاعة أصيلة أيضا بحكم قدمها — كما أشار

لذلك محبود درويش — فليس في مجموعة الشاعر

الآخرة ، قصيدة ، تخلو ، الى جانب المشاعر

الوطنية ، من المشاعر القومية ، بل هي تخلط

مع بعضها ، دون تفريق . ولو قلت ان هذه

المشاعر شجاعة ، لانها انما تحقق في واقع الامة

لتنتهي الى مواجهة حاكميها والتحكمين نسي

مصرها والدائنين على مواصلة تجزئتها ، وحرمانها

من حق الحرية والوحدة والحياة الكريمة . ولأنهم

أيضا العلة الكبيرة الوحيدة — كما يرى الشاعر —

في خياع الأرض ، وفي انتهاك حرمة شعبيها ،

وتشريده .

انه يقف في مواجهتهم وقفة صريحة وشجاعة ،

ولعل هذا هو همه الأساسي ، لانه قد يثب كثيرا

هذه الوثبة ، انما على حساب الشعر وقبته

الفنية . فانشاده يقترب من الحديث النثري .

من « المرشدين » الى « النسر العربي » ، مروراً

بالحروف الحمراء ، والبندقية ، هذه هي الدائرة

الشعرية الأخرى ، في مجموعة « من فلسطين

ريشتي » .

انه أمام « المرشدين » حزين « حزنا هادئاً » ،

يضاعف أمام بصره وبصيرته صور تشتتكم ،

وضياعهم ، فما هم انكرتهم حتى القبور ، وما هي

شظاياهم تلغظها كل أرض ، وخيابهم جريحة /

تنقطع عن الشكوى :

« أهلي ؟! واين هم ؟! واين ربوعهم ؟!

عفى الزمان وجمال بينهم الردى

في كل درب من شظاياهم لظى

يسم الجياه ، معفرا ومسوداً

ولكنه حين يرى انهم تركوا المرشد في العراء ،

وحيدا ، يراه هو : انه لم يهن « فالسيف أمضى

ما يكون مجرداً » ، وما هو من الوحدة والقرى

ينطلق من جديد ، فدائياً ، مقاتلاً ، حائلاً

حرومه الحجر « صلاها تشرد وسعير » ماشياً على

الجبر قويا نزاها الى النصر ، يستوحى قوته من

المقاومة . فالمعشق هناك أخذ — على ضوء تطور

الإبداع الشعري والتصيدة الجديدة — اشكالا

وصورا عديدة ، متداخلة ، وعبيقة ، تتداخل وعمق

التصيدة نفسها . فالأرض هناك هي المرأة بكل

نمذجها : حبيبة ، زوجة ، ام ، اخت .. وهي

الزيتون والاطفال ، وهي الاسطورة ، والحلم ،

تارة . وتارة ، هي الرؤية التي تعكسها في مرآيا

الشعراء الماشقة .. في حين هي لدى « أبي سلمى »

الأرض عينها ، بسيطة ، ومباشرة ، بساطة ومباشرة

التصيدة التقليدية . وانما عشق الشاعر لهذه

الأرض وتدلده بها يتضح — شعريا — في التقني

بظواهرها هي ، بصفاتها هي : بأشجارها

وأعشابها ، بشمسها وكواكبها ، بنداها وعطورها

.. بأزهارها وسواقيها .. واذا شاء ان يرمز لهذه

الأرض بالمرأة شأن الشعراء الجدد من الشباب ،

فانما يتوقف الامر في حدود التشبيه .

السمة الثانية ، هي هذا الإلحاح الحزين في الحب ،

الحب الذي ليس دعابة ، ولا لعبة جبيلة لذبة ،

ولكنه جهد ساخن ، وتعب شاق ..

« .. كلما حاربت من أجلك .. أحببتك أكثر

كلما دافعت عن أرضك .. عود العبر يخضر

وجناحي يا فلسطين على القبة ينشر »

والشاعر لا يفرق بين « فلسطين » و« فلسطينية

الاسم » ، وكأنها لم تعد اسما جغرافيا بقدر ما

أصبحت « صفة » مرادفة للجمال ، ورمزا له :

« يا فلسطين الاسم الذي يوحى ويسحر

تشهد السيرة في خديك ، ان الحسن أسمر »

وكل جزء من فلسطين مقترن لا بد ، ببغلة الطبيعة

الجبيلة ، وهي حياة ووجود كما يراها الشاعر ،

ولكنها أيضا في مواطن أخرى تقترن بالدموع ،

والدم ، وهي دلالة كارثة . كما تقترن بالنار ،

وهي دلالة ثورة . ولان الشاعر يرى فلسطين في

دمه حيث ذهب ، فما هو يصرخ : « أنا تاريخ

أمتي .. » . ولان دمه هو شعره ، فأى حروف

يحمل هذا الشعر :

« أحرف من تشرد ، وحروف

داهيات .. وأحرف من رماد

انما لا تزال خلف حروفي

جبرات مشبوية الانتقاد »

ولكن هناك حروفا ربيعية أيضا شاء الشاعر أن لا

يضمها ، هنا ، مع حروف التشرد والدم والثورة :